الدراسات الأثنواركيولوجية: مفهومها واستخداماتها في علم الآثار

نبيل علي*

الملخص

منذ الخمسينيات من القرن الماضي دخل علم الآثار بمرحلةٍ جديدةٍ تمثلت بطرح العديد من الأسئلة عن المادة الأثرية تعدت الجانب الزماني والمكاني (التأريخ). منبثقة من أسسٍ نظريةٍ جديدةٍ استلهمت من الدراسات المتعلقة بعلم الإنسان بشكل عام، فبرزت الحاجة لدى الآثاريين للتحقق من مدى صحةِ الاستنتاجات التي يمكن استنباطُها من المادةِ الأثرية والتنويع في طبيعةِ الأسئلة التي يمكن طرحها للوصول إلى معلومات عن الجوانب الثقافية المختلفة. إنَ الحاجة لدى الآثارين إلى فهم طبيعة العلاقة بين السلوك الإنساني والمادة التي يستخدمها أبرزت الحاجة إلى إجراء العديد من الدراسات التي يمكن من خلالها ملاحظة هذه العلاقة والعوامل والتغيرات التي تؤثر فيها. يندرج هذا النوع من الدراسات تحت مسمى الأثنواركيولوجي أو كما يسميه بعضهم علم الآثار الحي. فما ماهية هذه الدراسات؟ وما أهدافها؟ وما القواعد أو الأسس التي تستند إليها؟ ما طبيعة الجوانب المعرفية التي يمكن توظيفها في خدمة علم الآثار؟

الكلمات الدالة: اثنواركيولوجي، تعريفه، استخداماته في علم الآثار، بلاد الشام

* نبيل على- قسم الآثار – معهد الآثار- الجامعة الأدرنية- عمان –الأدرن.

مقدمة:

أسهمت التطورات التي واكبت علمُ الآثار في بلورة العديدِ من المفاهيمِ المعرفيةِ الجديدة عن ماهية الماضي الذي يتم الكشف عنه. فالماضي بما يحويه من مخلفاتٍ ماديةٍ سواء كانت أبنية، أو كسر أو أوانٍ فخارية أو أدوات صوانية أو بقايا عظمية ونباتية هي بالمحصلة نتاجُ تلك المجتمعات البشرية في زمان ومكان ما، لكن الاختلافات التي ارتبطت بمنظور الآثاريين لهذه المخلفات هي في تفسيرها الذي عكس الهدف، الذي رسم لعلم الآثار بطريقة ضمنية أو علنية وارتبط بشكل مباشر بطبيعة المرحلة الذي مر بها هذا العلم والتأثيرات الاجتماعية-الثقافية التي أثرت فيه.

فالجانب التفسيري وطبيعة المعلومات التي يمكن استنباطها من المادة الأثرية شكلت المحور الأساسي التي بنيت عليها المراحل المختلفة التي مر بها علم الآثار. فمن مرحلة الهواة والاستكشاف، إلى مرحلة جديدة ألا وهي الاهتمام بالجانب المكاني والزماني للمادة الأثرية أي التأريخ إلى مرحلة استنباط التنوع الثقافي وتفسيره للمجتمعات البشرية التي أنتجت المادة الثقافية. فالماضي بما يحويه من مادة والحاضر بما يحويه من تنوع في السلوكات الثقافية أبرزا الحاجة إلى منهجيةٍ علميةٍ لضبطِ مدى صحة التفسيرات التي تملى على الماضي من جهة، والطريقة التي يمكن من خلالها الكشف عن التنوع الذي أنتج المادةَ الثقافيةَ في الماضي من جهةٍ أخرى (Kleindiesnt and Watson 1956; Binford 1968; 1983; Longacre 1970; Gould 1974).

فما الحاضرُ الذي يمكنُ توظيفه لفهمِ الماضي الذي يسعى مُعظم دارسي الآثار لتحقيقه؟ أسهمت الدراساتُ الأثنوغرافية – تلك المتعلقةِ بوصف الشعوبِ الحاليةِ- بتزويد الآثاريين بمعلومات يمكن من خلالِها فهمِ بعض الجوانب المتعلقةِ بالمادةِ الأثرية المكتشفة. إلا أن هذه الدراسات ركزت في الغالبِ وتركز على الجوانب الاجتماعية الثقافية للمجتمعات بمعزلٍ عن المادة الثقافية التي تستخدمُها، مما يقللُ من

فرصةِ إيجاد العلاقةِ بين جانبين مهمين في توظيفهما لفهم الماضي وهما: السلوك الإنساني وعلاقته بالمادة الثقافية المستخدمة، أقصد الجانبين اللذين يسعى علمُ الآثار لفهمهما وتوضحيهما. كما أن تلك الدراسات لم تشمل أجوبةً لبعض الأسئلةِ التي تُطرح من قبل الآثاريين خلال دراستهم للمادةِ الأثرية. من هنا برزت الحاجةُ لعلماءِ الآثار للقيام بدراساتٍ على المجتمعاتِ الحاليةِ بهدف الوصول إلى أجوبةٍ و معلوماتٍ لفهم العلاقة بين المادة الثقافية والمجتمعات التي أنتجتها أي السلوك الاجتماعي الثقافي وعلاقته بالمادة.

1- الدراسات الأثنواركيولوجية: تعريفها ومفهومها

من الممكنِ تقديم تعريف مبسطٍ "للأثنواركيولوجي" بوصفه نوعاً من الدراساتِ الميدانيةِ ضمن المجتمعاتِ المعاصرةِ ويُجرى من قبل الآثاريين بغرض إيجاد أجوبةٍ لأسئلةٍ محددةٍ لفهم المادةِ الأثرية وتفسيرها. للوهلة الأولى يبدو أن هنالك علاقةٍ معرفيةٍ ما يسعى الآثاريون للوصول إليها من خلال توظيف المعرفة المستقاة من دراسة المادة الثقافية للمجتمعات المعاصرةِ والهادفة إلى تذليل الصعاب المرتبطة بتفسيرِ المادة الأثرية. الأثنواركيولوجي إذ إنَّه مجالُ بحث لأجوبةٍ تُطرَحُ عند دراسة المادة الأثرية من أجل الوصول إلى معرفةٍ النظام السلوكي الذي يحكم طبيعةُ المادةِ الثقافية- material culture. فدراسة العلاقة بين المادة الثقافية والثقافة الاجتماعية المتمثلة بالسلوك الإنساني تتيح المجال لتطوير فرضيات عن سلوك الإنسان في الماضي، كما أن الدراسات الأثنواركيولوجية تستند على اختبار مجالات متعددة للسلوك الاجتماعي الثقافي من منظور أثري (Kramer 1979:1). ونقصد هنا البحثُ عن العلاقات التي يمكن تحديدها بين السلوك الإنساني والمادة الثقافية. فما المادة الثقافية وما السلوك الإنساني؟ فيما يتعلق بالمادة الثقافية يمكن تعريفها بأنَّها أيةُ مادةٍ استخدمتْ أو صنعتْ من قبل الإنسان أو تلك التي تسهلُ القيام بمهمة ما. ومن الأمثلة على ذلك الآنيةُ الفخارية أو الأدوات الصوانية، كما يمكن إدراج الطعام تحت هذا

المفهوم. أمَّا السلوك الإنساني فهو انعكاس للمادةِ الثقافيةِ التي يمكن أن تخدم جانباً ما مثل أداة لتقطيعِ الأخشاب، أو لتصنيع الفخار أو لها أهمية دينيةٌ أو استخدمت للتبادلِ أو التجارة. فالمادة تعكس السلوك المرتبط بها(Kramer 1979:1).

فإذا كان الهدفُ من دراسةِ المجتمعاتِ الحاليةِ استنتاجُ الجوانب غير المادية من المادة الأثرية التي يقوم الآثاريون بدراستها، إلا أن الاختلاف في ماهية الأثنوارکیولوجي وتسميته كانا محط اختلاف بين المختصين. فظهرت العديد من التسميات التي أُطلقت بحيث تصبح ذات دلالة لوصف العلاقة بين الحاضر والماضي. فمنهم من استخدم تسمية Action Archaeology (Kleindienst and Watson 1956) أو Living Archaeology (Gould 1974;1980) أو Archaeological Ethnography (Stiles 1977) أو Ethnoarchaeology (Watson 1980; Bauxar 1957). وخلال السنوات الأخيرة وظف مصطلح Actualistic Studies[1] لضم جميع المصادر المعلوماتية التي يمكن توظيفها بغرض تفسير المادة الأثرية (David and Kramer 2000).

هذا التنوع في التسميات انعكس بشكلٍ واضحٍ في التنوعِ في التعريفات لتحديد مفهوم هذا العلم الوليد، التي يمكن إدراجها تحت مفهومين مهمين:

1- إيجاد العلاقةِ بين الحاضر و الماضي من أجل تحديد أوجه الاختلافِ والتشابهِ بين المصدرِ والموضوع. أي الاعتماد على استخدام ما يسمى المقارنة \القياس(Analogy).

2- وضعُ واختبار للفرضيات، والنماذج والنظريات التي تنبع من اهتمام أو توجه أثري من خلال المعلومات الأثنوغرافية. (Gould 1974; Watson 1979).

1 هذه التسمية تضم البحوث التي يتم القيام بها بهدف تزويد مادة للمقارنة والتي لا تُجْرَى ضمن ظروف مخبرية أو ضمن متغيرات معينة. هذه التسمية والتعريف يعكس التنوع في طبيعة المصادر التي يمكن توظيفها كمصدر للمقارنة للوصول إلى تفسير المادة الأثرية

لذا ان مصطلح أو تعبير أثنواركيولوجي يجمع بين مصطلح الآثار- Archaeology- و الأثنوغرافيا-Ethnography. ومن أوائل المستخدمين لهذا المصطلح في بدايةِ القرن العشرين هو Fewkes (1900). ولتوضيحِ العلاقةِ بين المصطلحين وكيفية تطورهما يمكن إدراجهما كالآتي (Thompson 1991:233).

1- ملاحظاتْ اثنوغرافية شكلتْ مصدراً غير مباشر للآثاريين.
2- دراسة أثنوغرافية تتعلقُ بالتقنية أو بالحِرف المختلفة أجريت لأهداف تخدمُ عالم الآثار.
3- دراسات أثنوغرافية للثقافة بِشكل كلي مع التركيزِ على المحتوى الثقافي من أجل الوصول إلى استنتاجاتٍ أثرية.

من خلال الأبواب المتبقيةِ من هذا البحث سوف يتم التركيزُ على ماهيةِ الدراسات الأثنواركيولوجيا ومراحل نشوئها، وطبيعةِ الموضوعات التي تضمنتها بشكل خاص في بلاد الشام، والعلاقةِ بين علم الآثار والأثنواركيولوجي، وأهمية هذه الدراسات في دراسةِ التاريخ الثقافي-الاجتماعي للشرقِ الأدنى القديم.

2- الأثنواركيولوجي: نشأتهُ ومرتكزاتهُ:

2-1 مرحلة النشأةِ والتطور

شكلَ الحاضرُ مصدراً مهماً منذ المراحل الأولى لنشوءِ علم الآثار لفهمِ ماهية المادة الأثرية التي يتم الكشفُ عنها خلال أعمال التنقيبِ المختلفة. ففي المراحل المبكرة من الاهتمام بالماضي (القرن السابع عشرالميلادي) استخدمت المعلومات الأثنوغرافية من أجل "تفسير" المادةِ الأثرية-خاصة الأدوات الصوانية- من أجل تحديدِ وظيفتها واستخداماتها. وتبلورت هذه العلاقة المعرفية بين الماضي والحاضر بشكل واضح خلال القرن التاسع عشرالميلادي مع ازدياد الاهتمام بإيجاد سلم التطور للثقافاتِ المختلفةِ (L. Morgan 1877 و E. Tylor 1870). فالمعلوماتُ الأثنوغرافية التي

جُمِعَتْ عن الثقافاتِ المعاصرةِ المختلفةِ نُظرِ إليها على أنها بقايا واستمراريةً لثقافات الماضي (Lubbock 1865;1882) ومن ثمَّ أصبحت تشكلُ مصدراً معرفياً لتفسيرِ البقايا الأثرية . ففي عام 1900 استخدم (Fewkes) مصطلح ethno-archaeologist للدلالة على الآثاري الذي يوظفُ المعرفةَ المستقاة من الحياةِ الحالية للمجتمعات التي يُفترض أنها تمثلُ استمرارية لتلك المجتمعات التي وجدت آثارها في عصور ما قبل التاريخ (Fewkes 1900:579) أي قام Fewkes بدراسةِ المجتمعات الحالية في منطقة ما (سكان أمريكيا الأصلون) ونمطُ هجراتهم لتفسير المادة الأثرية التي عُثر عليها في عصور ما قبل التاريخ (السجل الأثري). إن التفسيرَ الذي أطلقه(Fewkes) تضمن بشكل أو بآخر وجودَ استمراريةٍ تاريخيةٍ بين المصدر (سكان أمريكيا الحاليين) والموضوع (المخلفات المادية التي أنتجتها واستخدمتها مجتمعات عصور ما قبل التاريخ). ومن الأمثلةِ الأخرى الدراسة التي قام بها(Sollas) المتعلقة بتفسير الأدوات الصوانية من حيث الاستخدام والوظيفة. إذْ خصص فصل كامل لدراسةِ مجتمع Tasmanians وطريقةِ تصنيعِ أدواتهم الصوانية ونمط اقتصادهم بوصفهم يمثلون مجتمعَ العصرِ الحجري القديم في الحاضر وفرصةً لتفسير الماضي (Sollas 1911:70).

إنَّ العلاقةَ المعرفية بين الأثنوغرافيا والآثار اتخذت منحنى جديداً مع بدايةِ التركيز على المحتوى التاريخي للثقافة. فكلا المصدرين وظفا من أجل دراسةِ المحتوى التاريخي-الثقافي وتفسيرِه لمنطقةٍ محددة بخلاف استخدامها لإيجاد سلم تطور للثقافاتِ بشكلٍ عام. فازداد التناغمُ المعرفي بين الدراساتِ الأثنوغرافية والأثرية خلال هذه المرحلة حيثُ شكلا هدفاً مشتركاً لدراسة التاريخِ الثقافي لمنطقةٍ ما. فأجريت الدراساتُ الأثنوغرافية في البداية (مثلُ دراسةِ الفخار أو النمط الاستيطاني لدى الهنود الحمر) ومن ثم تم الرجوع الزمني لدراسةِ الماضي بما يحويه من مادةٍ أثريةٍ (Cushing 1886;1890; Fewkes 1900 نقلاً عن Stiles 1977).

وعلى الرغمِ من الازديادِ المطرد في توظيفِ الدراسات الأثنوغرافيــة بوصــفه مصدراً معرفياً لدراسةِ الماضي، إلاَّ أنَّ هناك فريقاً من الآثاريين الذين تحفظوا علــى منهجِ المقارنةِ الأثنوغرافية لأنَّ سلوكَ الإنسان في الحاضر يختلفُ عن الماضي، ومن ثمَّ الدعوةُ إلى تجنبِ استخدامِ مبدأ القيــاس الاثنــوغرافي فــي التفــسيرات الأثريــة (Clark 1954; Childe 1956). باعتقادي أن أحدُ أسباب هذا التحفظِ ارتبطَ بالآثــاريين البريطانيين أكثر من الأمريكان لأنَّ الأول يفتقد إلى الملاحظــات الأثنوغرافيــة فــي بريطانيا التي يمكن أنْ توظف في تفسيرِ الماضي. هذا بعكس الوضع في أمريكا إذْ أمكن ملاحظة الهنود الحمر وعاداتهم والمادة الثقافية التــي يــستخدمونَها وإمكانيــة توظيفِ هذه الدراساتِ في تفسير الماضي.

ورغم وجود مثل هذه الانتقادات، شكلت بدايةُ الخمسينياتِ من القرن الماضــي نقطةَ تحولٍ مهمةٍ هي التركيزعلى أهمية المعلوماتِ الأثنوغرافية بوصــفها مــصدراً لتفسير الماضي (Ascher 1961; Kleindienst and Watson 1956; Willey 1953).حيثُ تبلورَ خلال هذه المرحلةِ جانبان مهمان يتعلقان بالدراسات الأثنواركيولوجية: الجانــب الأول يتعلق بالتسمية والأهــداف، أمَّــا الجانــبُ الثــاني فيتعلــق بفهــوم القيــاس أو(Analogy). أمَّا بالنسبة إلى ما يتعلق بالتسمية فــإنَّ أهمهــا مــا قُــدمَ مــن قبــل Kleindienst و Watsonحيث بلورا العلاقة بين الماضي والحاضــر تحــت تــسمية Action Archaeology، أمَّا Bauxar(1957) فأعــاد اســتخدام مــصطلح أو تــسميةِ Fewkes الأثنواركيولوجي (انظر أعلاه). والمهم أيضاً في هذه المرحلة التركيزُ على إجراء دراسات أثنواركيولوجيا من قبل الآثارين التي تحملُ في طياتها أهدافاً محــددةً المراد منها الإجابةُ عن إسئلةٍ تتعلقُ بالماضي خاصة أنَّ المجتمعاتِ المعاصرةِ (التــي تعتمدعلى الجمع والصيد بالدرجة الأولى) يمكن أنْ تقدمَ بعضَ الاجوبةِ عن الماضــي التي بدأت بالتغيرِ من الناحية التقنيةِ والاقتصاديةِ الاجتماعية.

القياسُ الأثنوغرافي – Ethnographic analogy- كان محط نقاشٍ بين البـاحثين فيما يتعلقُ بالجانب النظري والمنهجي في استخدامه (Ascher 1961) خاصةً الـدعوةَ إلى تحديدِ العواملِ التي تؤثرُ في المادةِ الثقافيةِ (في مراحل ما بعد الاسـتخدام) قبـل الوصول إلى تفسيرٍ فيما يتعلقُ بماهيتها (سوف تُناقَشُ مفهومِ القيـاسِ منفـصلاً فـي الصفحات التالية). و يبقى السؤالُ مطروحاً عن منهجيةِ المعلومـات المـستقاة مـن الحاضرِ وفاعليتها بكل أشكالها من أجل توظيفها لتفسيرِ الماضي.

كان لمرحلة الخمسينيات ومع بدايةِ الستينيات من القرن الماضي دور مهـم فـي إدراج الأثنوارکیولوجي ضمنَ علم الإنسان- Anthropology- بشكل عام. مما حـدا بالعديد من الباحثين القيام بدراساتٍ متعددةٍ حولَ موضوعات كالتي تتعلـق بالجانـبِ التصنيفي للمادة الثقافية، موضوعات أخرى مثلُ أسبابِ هُجران المواقعِ الاسـتيطانية، ودراسةُ المحتوى الاجتماعي للتقنية. وكذلك التنوعُ في النماذج أو الفرضـياتِ التـي يمكنُ اختبارها وإيجاد طرائقٍ جديدةٍ تحليليةٍ وتطوير طرائقٍ أخرى تتعلـقُ بدراسـةِ المادةِ الثقافية.

3- الاتجاهاتُ النظريةِ في علمِ الآثار والأثنوارکیولوجي

تأثر الأثنوارکیولوجي تأثيراً مباشراًبطبيعةِ الاتجاهاتِ النظريةِ التي أثرت في علمِ الآثار منذ الستينيات من القرنِ الماضي. إذْ يمكنُ تمييز ثلاثَ مراحل أدتْ إلى التغيرِ في المحتوى النظري للدراسات الأثنوارکیولوجية وكذلك المواضيعَ التي تَم التعامـلُ معها. كل مرحلةٍ من هذه المراحل ترتبطُ بتغيرٍ في النواةِ النظريةِ لعلـمِ الآثـار (أي الجوانبُ التي يعتقدُ أنَّها تمثلُ العواملُ السببيةِ التي تؤدي إلـى التنـوعِ فـي المـادة الثقافية). هذه المراحلُ هي:

1- المرحلة الأولى 1968-1981

شهدتْ هذه المرحلة تغيراً في طبيعةِ أهداف علم الآثار مـن جهـةٍ والمنهجيـةِ المتبعةِ في تفسيرِ الماضي من جهةٍ أخرى. فمع نشر L. Binford مقالـة عـام 1962

والموسومةِ بـــ Archaeology as Anthropology دخلَ علمُ الآثار فـــي عهـــدٍ جديـــدٍ أصبح يسمى "علمُ الآثار الجديد" New Archaeology. ومن المفاهيمِ النظريةِ الأساســيةِ لهذه المرحلةِ هو تبنـــي مفهـــوم وتعريـــف L.White (1959) للثقافـــةِ والمدرســـة الايكولوجية J.Steward(1942). بالنسبة White إلى أن الثقافةَ طريقةُ تكيف الإنـــسان مع البيئة و ليس كونها مجموعةً من الأفكارِ موجودة في عقولِ الناس تلك الأفكار التي نتجَ عنها تصنيعُ الأدوات وإنَّما الأهمُ هو دراسة دور البيئةِ وعلاقة الإنسان بها وكيف ينعكس ذلك على النظم الثقافية المختلفة. بمعنى آخر، أصبحت المدرسةُ البيئيـــة مـــن الجانب النظري بما تحويه من علاقاتٍ متداخلة كنظامٍ متكاملٍ هي مـــصدر لدراســـة الماضي. هذا من الجانب النظري أمَّا من الجانب المنهجي، فأصبح التركيز على اتباع منهج علمي واضح من أجل الوصول إلى تفسيرٍ للماضي. فتم التركيزُ على المنهجيـــة الاستنباطية (Deductive) للوصول إلى المعرفةِ عن الماضـــي بـــدلاً مـــن المنهجيـــة الاستقرائية (Inductive). إن هذا التحول المنهجي في علم الآثار أوجدَ حاجةً إلى إيجاد نماذج (Models) لدراسة السلوكِ البشري التي يمكنُ مـــن خلالهـــا أيـــضاً اســـتنباط فرضيات (Hypothesis) و اختبارها و تطبيقها على المادةِ الأثريـــة. لـــذا، تركـــزت البحوث خلالَ هذه المرحلة على أمر واحد هو الوصولُ إلى تحديد بعض القوانين التي تضبطُ علاقة الإنسان بالعواملِ البيئية المحيطة التي تعدُّ الأساس في تشكيل الثقافة.

إنَّ الدراساتِ الأثنوارکيولوجية الجديدية التي برزت أو تلك التي استمرت خـــلالَ هذه المرحلة شملتْ دراسة الفخار، والأدوات الصوانية والمباني السكنية وكيفيةَ تشكل السجلِ الأثري أو تكوّنه (Archaeological record).

2- المرحلةُ الثانية 1982-1989

تميّزت هذه المرحلة با لدعوةِ إلى الحد من الأهمية المطلقةِ التي تُعطـــى للبيئـــةِ وتجاهل جوانبَ ثقافيةً لها دورٌ في تشكيل الثقافة. هذه الدعوةُ ارتبطـــتْ عـــام 1982 بكتابات Hodder I. خاصة كتابه المعنون Symbols in Action. ركز Hodder علـــى

محورين مهمين في دراساته: المحور الأول تمثلَ بالتركيزِ على دورِ المادة الثقافيةِ في تشكيل الثقافةِ أي تقديم مفهوم جديد للثقافة، والمحور الثاني ركز على أهمية دراسة المحتوى –context- الذي يرتبط بالمادة الثقافية، منطلقاً من جانب نظري يركزُ فيه على البنية –Structure- بدلاً من النظامِ -System- ودعا إلى التركيزِ في الدراسات الأثنوارکیولوجيا والأثرية على جوانبَ مثل الفكر والسلطة والرمزية والتركيبة الاجتماعية، أي إنَّ نواةَ الدراسات الأثرية أو الأثنوارکیولوجية تتمحور حولَ الأهمية البنيوية التي توجدُ في النظام الرمزي (Hodder 1982). ذلك النظام الذي يمتازُ ببنية لا تتأثر بالعوامل الإيكلوجية النابعة من البيئة بشكلٍ مباشر. فظهرتْ دراسات أثنوارکیولوجية تتناول معنى الزخارف المطبقة على الأواني الفخارية والمحتوى الاجتماعي للتقنية ومفهومُ الاثنية ونظامُ التفكير والرمزيةِ المتضمنةِ للمادة الثقافية ودراسة العمارة السكنية وغيرها (Hodder 1986).

3- المرحلةُ الثالثة 1990-الى الوقت الحاضر

ما يميّزُ هذه المرحلة هو توجه العديد من المختصين من غير الغربيين بالدراسات الأثنوارکیولوجية إلى دراسة مجتمعاتهم المحلية. مثل الأفارقة والأتراك والهنود واليابانين والصينين والعرب. هؤلاء الباحثون شكلوا منهجاً جديداً أصبح يندرج تحت ما يسمى مدرسة ما بعد الاستعمار - Post-colonialism.

فظهرت دراسات أثنوارکیولوجا تهتم بدراسة الفكر –Ideology- من منظور محلي من خلال المادة الثقافية، وكيفية فهم التقنية والسيطرة عليها، ودراسات تتعلق بكيفية تقسيم العمل وطبيعة الإنتاج. أيضاً هناك دراسات ركزت على مميزات المجتمعات المركبة ودراسة المجتمعات الرعوية. ولابدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ الجانب الفكري شكل محوراً مهماً لهذه الدراسات.

4- أهداف الدراسات الأثنواركيولوجية ودوافعها:

بينا فيما سبق أهمية الدراسات التي أجريت من قبل العديد من الآثاريين لجمع المعلوماتِ عن المجتمعاتِ المعاصرةِ بهدف تفسير المخلفات المادية التي ارتبطتْ بسلوكِ الإنسان في الماضي وتوضيحها. وللوصولِ إلى مثل هذا الهدف لابدَّ من تطويرِ نوعية المعلومات التي تُجمَعُ من أجل توظيفها في فهمِ الماضي وتوضيحه وهذا يندرج من خلالِ النماذجِ التي تُوْضَعُمن قبلِ الآثاريين أو من خلالِ توظيفِ مفهومِ المقارنة.

فالحاجةُ إذاً إلى التركيز على ملاحظة وجمع المعلومات التي تتعلقُ بكل نشاطاتِ الإنسان التي يمكنُ أن ترتبطَ معه أو تترك مخلفات مادية (إذْ يمكن التعاملُ مع هذه المخلفات كونَها جزءاً من السجل الأثري). فالملاحظاتُ حول هذه العلاقة تساعدُ الآثاريين على تعرّف نمط النشاطاتِ البشريةِ والنمط المادي المرتبطُ بها. فنمط المخلفات الأثرية التي يُكْشَفُ عنها خلالَ الحفرياتِ الأثرية هو نتاج للسلوكِ الإنساني وطبيعة المحتوى الاجتماعي والاقتصادي الذي أدّى دوراً في إنتاجها واستخدامها.

كذلك إنَّ الآثاريين بحاجة إلى تعرّف العواملِ التي أدت إلى الاختلاف في طبيعةِ المحافظةِ على المخلفات الأثرية وإلى درجة ملاحظتها في السجل الأثري(Schiffer 1987; Gould 1974).

إنَ المجتمعاتِ في الماضي تمثلُ نظاماً متكاملاً ومعقداً فمعرفةُ الجوانبِ المختلفةِ مثل نمط النشاطات والمادةِ المرتبطة بها وكذلك المحتوى الاجتماعي الاقتصادي التي كانت جزءاً منه والعواملَ التي أثرت على المخلفاتِ المادية، فمعرفةُ هذه الجوانبِ تساعدُ عالم الآثار في النهاية على وضع نماذج حول كيفية عمل المجتمع في الماضي. من هنا يأتي الاختلافُ بين الدراساتِ الأثنواركيولوجية والأثنوغرافية. فالدراساتُ الأثنوغرافية على سبيلِ المثالِ لا تركز على دراسة الاختلاف في المادة الثقافية:

العلاقةُ بين النشاطات البشريةِ والمادة الثقافية المرتبطة بها وتوزيعها المكـاني داخـل الموقع وأخيرًا وليس آخراً كيفية طرحِ النفايات في الموقع.

5- كيفية توظيف المعلومات الأثنوارکيولوجية:

يبقى السؤالُ الأهمُ-ومحط الجدل بين المختصين – هـو فـي كيفيـةِ توظيـفِ المعلومات المستقاةِ من الدراساتِ الأثنوارکيولوجية أو استخدامِها؟ للإجابةِ عـن هـذا السؤال يمكن إدراج الجوانبِ الآتية (Stiles 1977:74):

1- عن طريقِ القياس –Analogy
2- إنتاج الفرضيات والنماذج
3- اختبارُ الفرضياتِ

يشكلُ مفهوم القياسِ نواة الدراساتِ الاثنواكيولوجية والجانبِ الأكثر تعقيـداً فـي تحديدِ مفهومه ومدى أهمية توظيفه بالتفسيرِ الأثـري (Binford 1967;Chang 1967; Gould 1980; Heider 1967; Hodder 1983). يقصدُ بالقياسِ اختيـاراً محـدداً مـن المعلوماتِ أو الخصائصِ بهدف المقارنةِ من أجل تحديد أوجـهِ الـشبه والاخـتلاف والتنافر بين المصدر والموضوع (Wylie 1985:28). فالمصدرُ يتضمنُ المعلومـاتِ التي تُجمَعُ من خلال دراسةِ ظاهرةٍ ثقافيةٍ في الوقتِ الحاضر، أمَّا الموضوعُ فيتمثـل بالماضي المراد تفسيرَه والمحتوي على تشابه مع الظاهرة التي دُرِسَتْ أو تعرّفها فـي الحاضر. فالتركيزُ بالدرجةِ الأولى يتم على إيجاد تشابهٍ في الخصائصِ الماديـةِ بـين المصدرِ والموضوع.

منذُ بدايةِ النقاشِ حول ماهيةِ القياسِ في الدراسات الأثنوارکيولوجية، قُدِّمَ العديـد من أنواع القيـاسِ (Gould 1974; Ascher 1961; Verhoeven 2005; Watson 1999; Yellen 1977). بالاعتمادِ على عاملي الزمانِ والمكانِ يمكن استعراض أهم نوعين من القياس (سوف أركزُ على هذين النوعين لتجنب الخوضِ في اللانهاية من النقاش حولَ

الأنواع المختلفةِ من القياسِ وهو خارج عن الهدفِ لهذه المقالة) وهما ما يسمى بالقياسِ العام (General Analogy) وبالقياس التاريخي (Direct Historical Analogy).

القياسُ العامُ من حيثُ المحتوى يُجرى بين المصدرِ والموضوعِ بحيث لايرتبطُ الاثنان زمنياً أو مكانياً مع بعضهما بعضاً. أي لا يمكنُ إثبات العلاقةِ بين الثقافةِ التي أنتجت المصدر (المعلومات في الحاضر) أو تلك التي أنتجتْ الموضوعَ (المخلفات الأثرية). لكن مدى صحةِ القياس وقوته بين الطرفين تزدادُ مع الاضطراد في عددِ التشابهاتِ بينهما (عددياً وليس سببيا). هذا النوعُ من القياسِ في الغالب يُوظَّفُ في العديدِ من الدراساتِ الأثرية خاصة المتعلقةُ بمجتمعات الجمع والصيد (مثل المصدر من إفريقيا والموضوع في بلاد الشام).

القياسُ التاريخيُ المباشرُ يُوظَّفُ بين المصدرِ والموضوعِ في حال أُثبِتَ الجانبِ المكاني أو الزماني بين الجانبين (Ascher 1961; Steward 1942). يتم في هذه الحالة افتراضُ وجودِ علاقةٍ تاريخيةٍ بين المادةِ الأثنواركيولوجيةِ والمادةِ الأثرية (Ascher 1961; Gould 1974). بسبب الافتراض التاريخي بين الجانبين فإنَّ الجانبَ الاحتمالي في صحةِ التفسيرات تكون أكثر قوةٍ أو صحة.

إن استخدامَ القياسِ - سواء العامَ أم التاريخي- من أجل التفسيرِ الأثري يتضمنُ مشكلةً نظريةً بحدِ ذاته. فعلم الآثار لا توجد له نظريةٌ موحدةٌ يمكنُ من خلالِها تفسيرُ ظاهرةٍ ثقافيةٍ ما. ولكن الظاهرةَ الواحدةَ التي رُبما تهمُ العديد من الآثاريين ربما تفسرُ من محتوياتٍ نظرية مختلفة (مثل المدرسةِ الوظيفيةِ في الآثار أو المدرسة التطوريةِ الحديثة الخ) ومن ثمَّ تُنتجُ تفسيرات مختلفةٍ للظاهرة نفسِها. هذا من جانبٍ، أمَّا الجانبُ الآخر فيتمثلُ بطبيعةِ القياسِ نفسه. فهل يكفي الآثاري مصدر واحد ليبرهنُ على صحةِ تفسيره؟ هنا نحن بصدد نقاش استخدامِ القياسِ المفرد أو المتعددِ لإثبات مدى صحةِ التفسيرِ الأثري (Shelley 1999). بمعنى آخر هل يكفي عناصرُ التشابه بين الحاضرِ

والماضي من حيثُ العددِ ومن حيثُ استقائِها من مصدرٍ واحدٍ لتفسيرِ الجانبِ أو الظاهرةِ الأثرية التي بحاجة إلى تفسير. أي هل الاسباب التي أدت إلى التشابهِ بين المصدرِ والموضوع تكون كافيةً اذا تم الحصول عليها من مصدرٍ واحدٍ ام نحن بحاجةٍ إلى العديد من المصادرِ التي تُنتج الظاهرةِ نفسَها لكي يكونُ التفسيرُ أقربُ إلى الواقع؟ بعضُهم يعتقدُ أن توظيفَ أكثر من مصدر للمقارنة يساعدُ الآثاريين إلى الوصولِ إلى جانبٍ تفسيريٍ للماضي أقربُ منه إلى الصواب (Shelley 2003:86-7).

باعتقدي أن أهمية الدراسات الأثنوارکیولوجية تنبعُ من كونِها مجالاً لإنتاج النماذج أو الفرضياتِ حولَ ماهيةِ الماضي الذي يسعى الآثاريون لتفسيره. فالفرضيةُ يمكن طرحُها بناءً على الملاحظاتِ الأثنوغرافية أو الأثنوارکيلوجية من خلالِ تحديد العلاقة البنيويةِ بين أجزاء الفرضية، ومن ثم اختبارُها قياسياً على بعضِ الظواهرِ التي يُكشَفُ عنها في السجل الأثري. فعلى سبيل المثال من الظواهر المعرفيةِ التي تهم علماءُ الآثار معرفةِ العلاقات القرابية و نمط الإقامةِ ضمن مجتمع ما. لذا، يمكن لعالمِ الآثار وضع فَرضيةٍ تتعلقُ بهذين الجانبين وكيفيةِ اختبارها على المادةِ الأثرية. كالافتراض الذي يقول نظامُ القرابة السائد (من جهة الأب أو الأم) في مجتمع ما فإنَّ النمط السكني المرتبط معهما سوف يتأثر بهذا النظام القرابي أو ذلك ، لذا، فإنَّ المادةَ الثقافية سوف تختلفُ في طريقة توزيعها وتجمعها بين الوحدات السكنية متأثرةً بالدرجةِ الأولى بطبيعةِ النظامِ القرابي السائد. لاختبار هذه الظاهرةِ الاجتماعيةِ فإنَّ دراسةَ أنواع وخصائصَ الآنيةِ الفخارية (مثل مكونات العجينة الفخارية والخصائص الشكلية للأواني وأنواعها) رُبما تثبتُ صحةَ الفرضيةِ التي وضِعَتْ (Hill 1968; Longacre 1968;Grave 1991).

الانتقالُ إلى مرحلةِ اختبارِ الفرضية أثرياً من الجوانبِ التي تحملُ في طياتِها الصواب أو الخطأ. بالدرجةِ الأولى اختبارَ الفرضيةِ يعتمدُ على المحتوى الثقافي المرتبطُ بالظاهرةِ المرادِ اختبارُها، وكذلك الاستمراريةِ التاريخيةِ التي تربطُ بين

المعلوماتِ المستقاةِ من المصدرِ والظاهرةِ المرادِ تفسيرها من خلالِ الموضوع، وكذلك زيادةُ التشابه في العناصرِ المادية بين المصدر والموضوع. كل ذلك يقوي فرصةَ إثبات الفرضية من الناحيةِ الأثرية.

6- الدراسات الأثنواركيولوجية في بلاد الشام:

كان الوطنَ العربي وما يزالُ محط اهتمامِ العديدِ من الباحثين المهتمين بدراسةِ الجوانب الثقافيةِ المختلفة للمجتمعات البشرية كأصحابِ العلومِ المتعلقةِ بالآثار والأنثروبولوجيا. فالدراساتُ الأثرية لها جذورها في منطقةِ الشرقِ من العراق إلى فلسطين منذ القرنِ السابعِ عشرالميلادي بما حملته في البدايات من أهداف تبعدُ عن المفهوم الحالي لعلمِ الآثار. أمَّا الدراسات الأثنواركيولوجيا – بالمفهوم الذي بيناه أعلاها – فهي قصيرةُ العمرِ نسبياً لأسبابٍ تكمنُ في طبيعة تطورِ هذا الجانب من الدراسات. على أي حال فإنَّه يمكنُ مقارنةُ التطوراتِ التي رافقت علمُ الأثنواركيولوجي بشكلٍ عام و مقارنتها أو انعكاسها على الدراساتِ التي أجريت في الشرقِ الأدنى لمحاولةِ الوصولِ إلى تصنيفها وتتبعِ تطورها، وكذلك طبيعةِ الموضوعاتِ التي تتأولتها.

1- مرحلة الاختبار والاستكشاف للشرق:

شكلَ الشرقُ مفهومَ اختبارٍ واستكشافٍ لدى العديد من الأفراد في الغرب. فمنذُ المؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامسِ قبل الميلاد وظِّفَتْ المعلومات التاريخية في محاولةٍ لتشكيل مفهومٍ عن الماضي الذي مر على الشرق وخاصةً حضارةُ مصر القديمة. ومع بداية عصرِ النهضةِ في أوروبا تزايدت الجوانبِ المعرفيةِ المتعلقةِ بالعديدِ من العلوم والفلسفة، وقد أدّى الجانبُ الديني دوراً كبيراً في التأثير في المعطيات المعرفيةِ المختلفة. فمن البديهي أن يوظفَ النصَ الديني كأساس للاختبارِ والبحثِ المعرفي. ومن هنا بدأت مرحلة الاستكشاف لمطابقةِ النص مع المادةِ

وتوضيحِ النص التاريخي من خلالِ الحاضرِ. فالجانبُ الزمني هو ذلك الفاصلُ بين الحاضرِ والروايةِ التاريخية. والماضي المرادُ التحققُ منه ليس المادة وإنما النصُ التاريخي. بمعنى ترجمةِ الجانب الكتابي إلى مادة. مثال على ذلك ما قام به الألماني Hermann Paulsen عام 1748 الذي قام بجمع المعلومات عن الزراعة لدى المجتمعات الشرقية لمقارنتها بالنص التوراتي. أو التي قام بها Rembrandt بمقارنةِ الملابسِ لدى المجتمعات الشرقية بالصور التي وجدت في الكتاب المقدس (نقلاً عن van der Kooij 2002:13).

بلغت مرحلُة الاستكشافِ والاختبارِ للوطنِ العربي ذروتَها في القرن التاسعِ عشر الميلادي مع تأسيسِ جمعيةِ استكشافِ فلسطين عام 1865، فإذا كان الغرضُ البارزُ هو رفدُ المعرفةِ فإنها تلك المتمثلةُ بتوضيحِ التوراة من الناحية الأثرية والجغرافيةِ والعادات والتقاليد للناس في البلادِ المقدسة. الملفتُ للنظرِ في هذا الجانبِ الجديد من المعرفةِ هو إيجاد العلاقة بين المادة (المصدر)- المادة (الموضوع) و النص (الموضوع). فالموضوعُ أصبح يمثلُ الجانبَ الأثري من مخلفاتٍ ماديةٍ تلك التي يُكشَفُ عنها خلالَ الحفرياتِ الأثرية ومقارنتها بالنصِ التوراتي من جهةٍ والحاضر الذي يتشابه مع الموضوعين من جهة أخرى. فالمعلومات المستقاةُ من المصدر (الحاضر) وظفت إلى جانب المكتشفات الأثرية للتثبت وتدعيم النص المقدس. فظهرت العديدُ من الدراسات التي تحاول ترجمة النصِ التوراتي بجوانبهِ كلّها إلى مادة وكان هذا الهدفُ في مقدمةِ أهداف العديد من الرحالةِ أو الباحثين الذين كانت وجهتهم الأرضُ المقدسة (Conder 1887; Rice 1910;Thomson 1879).

وعلى الرغم من كل ذلك تضمنت بعضُ كتبِ الرحالةِ معلوماتٍ مهمةٍ عن الظروفِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ لسكان فلسطينَ والأدرن مثل ما قدمه Schumacher عن القبائل التي وُجدت في منطقة الجولان والأجزاء الشمالية من الأدرن (Schumacher 1888). فقد احتوت كتاباته، عن القبائل، معلومات بينت أسماءها وعددِ

بيوتِ الشعر التي تعودُ لها وعلاقتها المكانية مع القبائل الأخرى. كذلك احتوى وصفهُ على بعضِ الوسوم التي تخصُ هذه القبائلَ وحركتها الموسمية. وفيما يتعلق بمجتمع البداوة أيضاً هنالك معلومات قدمها Jaussen (1908) التي احتوت العديدِ من الجوانب الثقافيةِ المرتبطة بالقبائل التي استقرتْ في منطقةِ الكرك مثل الاقتصاد والدين والحياة الاجتماعية والمتضمنة أيضاً العلاقة بين الفلاحين والبدو المرتبطة بالجانب الزراعي. أو الدراسة التي قام بها Grant (1921:13) للقرى في فلسطين. ودراسة Steuernagel (1926) لمنطقة عجلون حيث احتوت على معلومات مهمة عن طبيعةِ القرى وعدد الوحداتِ السكنية في كل قرية وعدد الوحدات السكنيةِ التي أُعيدَ استخدامها. وأيضاً الوصفُ الذي قدمه Goodrich-Freer (1913)للأنماط الاقتصادية في فلسطين مثلُ البداوةِ والفلاحةِ والتمدنِ وبعضِ الممارسات الدينية.

وشملت كتبُ الرحالةِ لفلسطينَ وصفاً لبعض الحِرف اليدويةِ مثلُ تصنيعِ الفخارِ المحلي (Gatt 1885; Einsler 1914; Dalman 1902).

هذه الدراساتُ اختزلت الفاصل الزمني بين المصدرِ والموضوعِ بغرضِ إبرازِ الشرقِ على أنَّه مادةً، والمحتوى لهذه المادة تكمنُ في النص التاريخي-الديني الذي يضفي معنى الحياة عليها، أمَّا العاملُ الزمني والمتغيراتِ التي تعرضت لها المجتمعات الشرقية فكانت غير مهمةٍ ولم تؤخذ بالحسبان.

2- مرحلةُ الاهتمام بتفسيرِ المادةِ الأثرية: الحاضرُ مصدرٌ للمعرفة

شهدَ القرنُ التاسع عشر في أوروبا مرحلةَ انتقال بالنسبة إلى تطورِ علم الآثار. فهذه المرحلةُ الزمنيةُ شكلتْ نواةَ تغيرٍ في علم الآثار بانتقالهِ من مرحلة الجمع للمخلفاتِ الأثرية إلى مرحلة التصنيف لهذه المخلفات وإلى مرحلة المحاولة في إيجاد تفسيرٍ للماضي المرتبطِ بالبقايا الماديةِ التي يتم العثورُ عليها. ومرحلةُ التفسيرِ بحاجةٍ إلى مصدرٍ للمعرفة؛ الذي تمثلَ بالحاضر. لذا وظفَ الحاضرُ لإيجاد وجه التشابه مع

الماضي لغايات تفسيره. فهذه المرحلةُ أبرزت أهمية المقارنة-Analogy- لغايات التفسير. فما طبيعة هذا المصدرُ المعرفي؟ فهذا المصدر استقي من :

أ) المشاهدات الفردية للآثارين خلال الحفريات التي قاموا بها في منطقةِ الشرقِ الأوسط. وهذا يتضمن المعلومات التي تُجمَعُ من خلال المشاهداتِ المباشرةِ للمجتمعاتِ المستقرةِ بالقربِ من المواقعِ الأثرية، أو تلك التي تُدَوَّنُ من خلالِ المقابلات (Bade 1931; Grant 1931; Crowfoot 1932)

ب) المعلومات الأنثروبولوجية المنشورةُ خاصةً المتعلقةُ بالجانبِ الاجتماعي أو الثقافي للمجتمعاتِ الشرقية. هذا المصدرُ وظفَ لفهم الماضي بشكل انتقائي دون الأخذِ بالتفسيرات المختلفةِ أوحتى إمكانيةُ التأكدُ من التفسيرِ الذي يتمُ التوصلُ إليه.

أفضل الأمثلةِ تلك التي طرحها H. Frankfurt في محاولته دراسة تخطيطِ المدينةِ في موقعي أور وتل أسمر في العراق (الموضوع). تمثلَ المصدر الذي اعتمدَ عليه لهذه الغايةِ بالمقارنةِ بتخطيط مدينتي حلب ودمشق في سورية: المقارنةُ الشكلية ما بين الموضوعِ والمصدرِ من جهة، والافتراضُ أن هناك استمراريةً بمعنى توقفٍ زمني بين الموضوع والمصدر من جهة أخرى قد جعلا من تفسيره مصدراً للمساءلة. فالاختلافُ الوظيفي بينهما يجبُ إبرازه والتأكدُ من مدى التشابه بينهما: فثمة جانب لم يُراعَ عند القيام بعملية المقارنة. أمَّا المثال الثاني فجاء في محاولة للوصول إلى معرفة وظيفة البيوت ذات الساحات التي تعود إلى العصر البابلي. فقد فسر E. Heinrich وجود تلك البيوتِ من خلال مقارنته بتلك الموجودة في القرى العراقيةِ التي من وجهةِ نظره كانت لحمايةِ المواشي من الحيوانات الوحشية. أي حاول الربط في التشابه الشكلي للبيوت الحالية دون دراسة بنية النظام الذي أنتج كل نوع من البيوت على حدة (نقلاً عن van der Kooij 2002).

تلك الأمثلةُ تشيرُ إلى المنهج المستخدمِ في التفسير أو الذي من خلالـــه يُوظَّـــفُ الحاضرِ لتفسيرِ الماضي أو فهمه. فهو منهجٌ يعتمدُ على الاستقراءِ دون مراعاةٍ لوجود أكثر من تفسيرٍ للظاهرةِ المدروسة. والنقد الذي وجه أيضاً إلى هذه الدراســـات أنهـــا وظفت القياس على أنَّه يعكس التشابه الشكلي بين المصدرِ والموضوعِ دون الأخـــذ بالأسباب التي أدت إلى حدوث التشابه بينهما. كذلك لم تراعِ هذه الدراســـاتُ خاصـــةً المتعلقة بالحرف الجانبَ التنوعي في الإنتاج لتفسيرِ الماضي ومحاولة دراسةِ الجوانب التنظيمية للحرف وفهم للعلاقاتِ الاجتماعية والاقتصاديةِ والسياسية التي تـــؤثرُ فـــي الإنتاج وطبيعته. على أية حال يمكنُ وصفُ هذه المرحلةِ أنها قليلة الاهتمام بالحاضرِ كمصدرٍ معرفي منظمٍ لتفسير أو حتى محاولة تفسير الماضي (London 2000:3).

3-مرحلةُ التفسير المبني على النظريةِ

إذا كان العقدان الخامسِ والسادسِ من القرن الماضي هما بداية لمرحلةٍ جديدةٍ لعلمِ الآثار، فهي تلك المرحلةُ التي صبغتْ هذا العلمَ بالصبغةِ العلميةِ فـــي التعامـــلِ مـــع الماضي وتفسيره (Binford 1968) أصبح التركيزُ منصباً على المنهجِ الاســـتنباطي – Deductive-hypothetical- لتفسير الماضي. كما ظهرت جوانبٌ جديدةٌ عولجَتْ شملت النظامَ البيئي والقياسَ عن طريقِ الدراساتِ الثقافية المقارنة ومحاولة إيجـــاد نظريـــةً عامةً للآثار من خلال تلك المتعلقةِ بعلمِ الإنسان والفلسفة. هذه الجوانبُ أثرت تـــأثيراً مباشراً في أهداف علم الآثار. فدراسةُ البيئةِ والاقتصادِ شكلتْ جوانبَ معرفيةً جديدةً للدراسة، مما أوجدَ الحاجةَ إلى دراسةِ الحاضر وتوظيفه من أجل المقارنةِ بالماضـــي، ومن ثمَّ الشروع بالدراسات أثنواركيولوجية للإجابة عـــن تـــساؤلات الآثـــاريين. أي أجريت من منظورٍ أثري مثلُ دراسة المجتمعاتِ الريفيةِ (القرى الزراعيـــة) لتفـــسيرِ الشواهدِ المادية التي يُكشَفُ عنها والعائدةُ لعصور ما قبلَ التـــاريخِ وفجـــر التـــاريخ (Waston 1979; Kramer 1982). فضلاً عن تلك الدراسات الأثنوغرافية التي أجريت وشكلت مـــصدراً للمعلومـــاتِ دون ربطهـــا مباشـــرةً بأهـــداف البحـــث الأثـــري

(Watson 1974). هذه الدراساتُ شملت جوانب تتعلق بالبـداوةِ (Barth 1961; Marx 1967) والتحول من البداوةِ إلى الاستقرارِ والحرف اليدوية (Wulff 1966) وملاحظاتٌ حول الابنيةِ السكنيةِ التي تمثلُ القرى الزراعية (Nissen 1968).

4- "حقلُ النظريات" والممارسة:

كان لبدايةِ علم الآثار" الجديد" أثر واضحٌ في إسـتراتجيةِ التحقـقِ مـن طبيعـةِ الماضي التي يُفسَّرُ. فمن خلالِ الفرضيةِ – Hypothesis- تُحـدَّدُ المنهجيـةِ المتبعـةِ للوصولِ إلى التفسيرِ الذي هو في النهايةِ تفسير لطبيعةِ العلاقةِ بين سـلوكِ الإنـسان والمادةِ الأثرية المستخدمة. فإذا زادت معرفُتنا بطبيعةِ العلاقةِ بين الجانبين كان لذلك أثر في تحديدِ المنهجيةِ والأساليبِ التي من خلالها نستطيعُ – نحن الآثاريين- تفـسيرَ الوجهِ الآخرِ للمادة الأثرية ألا وهو السلوك البشري الذي صـنعها واسـتخدم هـذه المخلفات وكيفيةِ التخلصِ منها. من هنـا جـاءَ الاطـرادُ فـي طبيعـة الدراسـات الأثنوراركيولوجيا التي تهدفُ إلى توضيحِ هذين الجانبين: المادةِ والـسلوك. فالمرحلـة الأخيرةُ – العقدان الماضيان- شهدتْ طرحَ العديدِ من الموضـوعات التـي يمكـنُ اختبارها على المادةِ الأثرية مثلُ الدراسـات المتعلقـة بالعمـارةِ ودراسـةُ الفـراغِ المعماري، موضوعات جديدةٌ –قديمةٌ مثل القرى الزراعيةِ والبداوة والحرف اليدوية. تمثل ذلك في بلاد الشامِ بدراسةِ العمارةِ الريفيةِ والجانب الاجتماعي-الاقتصادي لهـا (Aurenche et al 1997; Khammash 1986;Palmer 1998; Tarawneh 2002; Biewers 1997;). فضلاً عن الدراساتِ المتعلقةِ بكيفيةِ تعرّفِ الأنماط الاسـتيطانيةِ المرتبطـة بالبداوة (Banning and Köhler-Rollefson 1986; LaBianca 1990) والحرفِ اليدوية مثلُ إنتاج الفخارِ باستخدامِ الـدولاب (London 1989) أوتـصنيعُ الفخـار اليـدوي (Ali 2005; Mershen 1985). فدراسةُ الحرف اليدوية الحالية مثلاً لا تزودنا بمعلومات عن التقنيةِ الموظفةِ بتصنيعِ الأدوات فقط وإنما بالجوانب الثقافية المرتبطةُ بهـا مثـلُ الجانب الاجتماعي والاقتصادي؛ مما يسهمُ فـي تعـرّفِ علـى البنيـةِ الاجتماعيـةِ

والاقتصاديةِ في العصورِ القديمةِ المتعلقةِ بالإنتاج والتخصصية. وكذلك دراسةُ العلاقةِ بين الاستقرار الموسمي وإنتاج الأواني الفخارية (Ali 2005). فضلاً عن دراسةِ الزخارفِ المنفذة على الأواني الفخارية ضمن المجتمعات ذات الإنتاج القليل من الأواني الفخارية ومدلولاتها الاجتماعية وعلاقة المجتمعات أو القرى مع بعضها بعضاً (Ali 2009a). وكذلك دراساتٌ تتعلق بتعرّف الجوانب التقنية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالطوابين (McQuitty 1984; Ali 2009b).

هذه الموضوعات الأثنوارکيولوجية أصبحت تُجرى من أجل إيجاد اجوبة تتعلق بالدراسات الأثرية (مشكلات بحثية) ومن قبل آثاريين أو تُجرى من أجل رفدِ الدراساتِ الأثرية بموضوعات مختلفة.

7- أين تكمُن الحاجةُ للدراساتِ الأثنوارکيولوجيا في بلادِ الشام؟

إن ممارسةَ الدراساتِ الأثنوارکيولوجيا في الوطنِ العربي أخذت مناحي مختلفة في طبيعةِ الموضوعاتِ التي تم تناولها. فهنالك دراساتٌ ركزت على الجوانب التي يمكن توظيفها في دراسة القرى الزراعية المبكرة (Kamp 1993)، ودراسةُ التقنيةِ المرتبطةِ بالحرفِ اليدويةِ مثلُ تلك الموظفةِ في إنتاج الأواني الفخاريةِ (Ali 2005a: Ochsenschlager 1974)، ونشاطي الغزل والنسيج (Ali 1996 Ochsenschlager 1993) والدراسات المتعلقةِ بالمجتمعاتِ الرعوية (Simms 1988). فما طبيعةُ التفسيراتِ الأثرية في بلادِ الشامِ وأين دور الدراسات الأثنوارکيولوجا في رفدِ هذه التفسيرات وبنائها؟ من أجل توضيحِ ذلك سوف أعود زمنياً ومكانياً إلى الوراء مع ملاحظةِ كيف تطورت التفسيراتُ الأثرية. إن الربطَ بين الشواهدِ الأثرية والمعطيات الأثنوغرافية من أجل توضيحِ المعلوماتِ التي يُكشَفُ عنها خلالَ الحفرياتِ الأثرية تبلورَ منذُ القرن التاسعِ عشر خاصةً في أمريكا الشمالية. فالافتراض بأنَّ الهنودَ الحمرَ هم الذين أنتجوا المادةَ الأثرية (الرابط التاريخي بين الجانبين) جعلَ من تفسيرِ الأخيرِ مهمةً سهلةً نسبياً

للآثاريين. ففي البدايةِ وظفت الروايات الشفهية للهنود الحمر (Hodge 1897) من أجل اختبارها في تفسيرِ اللقى الأثرية. وفي مرحلة لاحقة ازداد الاهتمامُ بالسلوكِ الثقافي المنتجِ للمادةِ الأثرية وانصبَ التركيزُ على التوسعِ المكاني في هذه الدراسات وتحديد مشكلاتٍ بحثيةٍ محددة (Steward 1942). مع مطلع الخمسينيات انصب اهتمامُ الآثاريين على إجراءِ الدراسات والمعلومات الأثنوغرافية وتوظيفها من أجل إعادة بناء السلوكِ الإنساني في الماضي من خلال القيام بأعمالٍ ميدانيةٍ على المجتمعات الحالية. هذه المراحلُ المختلفةُ تبدو متقاربةً من حيث الاهتمامُ المعرفي بالماضي والحاضرِ كما عليه الحال في منطقتنا. لكن الاختلاف يكمن في كيفيةِ بلورةِ مفهوم حول الماضي في الشرق من خلال هذه الدراسات الأثنوارکیولوجية على الرغم من محدوديتها إلا أنَّها لم تساعدْ في بلورة مفهومٍ خاص بالشرق. النموذج المقترح في الوطنِ العربي يمكنُ أن يجمعَ بين الآثار والتاريخ والأثنوارکیولوجي. فالجانبُ الأول يزودنا بالمادةِ الأثرية التي تمتازُ بتنوعها سواء بشكل أفقي (على مستوى المرحلة الزمنية الواحدة)أم عامودي (عبر مراحل زمنيةٍ مختلفةٍ). أمَّا الجانب الأثنوارکیولوجي فيسهمُ في تفسيرِ الجانبِ المادي سواءٌ من حيثُ الوظيفةِ أو المحتوى الاجتماعي الثقافي المرتبطُ بها. ويزودنا أيضاً بالعلاقة ما بين الجانبين بالمحتوى التاريخي للظاهرةِ الثقافيةِ المرادُ تفسيرها. إنَّ المصادرَ الكتابيةِ (سواء من العراق أو سورية وتلك التي عُثر عليها في الأدرن وفلسطين ومقارنتها بالمصادرِ المصرية) تزودنا بالجوانبِ الثقافيةِ والسلوكيةِ خاصة التي تعكسُ التنظيمَ السياسي والجانبَ الديني وكيفية تطورهما ووظيفتها داخل المجتمع . فالمصدرُ التاريخي ليس فقط أهميته تنبعُ من تقديمِ حدثٍ ما أو مجموعةِ أحداث وإنّما يمكن استقراءُ جوانبَ ثقافية مختلفة مثلُ تقسيمِ العملِ والتنظيمِ الاجتماعي. وكذلك تكمنُ أهمية هذه الدراسات في أنَّها تزودنا بعمرٍ زمنيٍ أقربُ للظاهرةِ الثقافيةِ المرادُ دراستُها معزولةً عن العواملِ المختلفةِ نوعاً ما التي تؤثرُ فيها. لذا، تعدُّ المصادرُ الكتابيةُ أو الأرشيفُ الكتابي مصدراً مهماً لتتبع

النظم الثقافية المختلفةِ وخاصةً التنوعُ الذي كانت تتسمُ به المجتمعاتُ الشرقية. والموضوعات التي يمكن أن ترفدَ المعرفةَ الأثرية من خلال الدراساتِ الأثنواركيولوجية في الوطنِ العربي تشملُ المحتوى الاجتماعي والاقتصادي للحرف اليدوية (المعادنَ والغزلَ والنسيجَ وصناعةَ الفخارِ وإنتاجه بشقيه اليدوي وباستخدام الدولاب)، والقرى الزراعيةِ خاصةً المهجورة منها (مثل التركيز على النشاطات الاقتصادية للقرى الزراعية والجانب الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية وانعكاسها من خلال العمارة ومحاولة إيجاد علاقة نسبية بين حجم القرى الزراعية وعدد السكان والوحدات المنزلية وعدد أفرادها وطرائق التخزين وعلاقتها بعدد الأفرادِ وبنيةِ القرى الزراعيةِ والجانب السياسي الاجتماعي). والنمط الاقتصادي المعتمدُ على الرعي (العلاقة بين الظروف البيئية واختيار المواقع وأنماط الاستيطانِ والبقايا الماديةِ الدالة عليه والعلاقة بين المجتمعات الرعوية والقرى أو المدن والحرف المرتبطة بهذه المجتمعات). إن أهمَ الجوانبَ التي يمكن دراستُها أيضاً تتمثلُ بالتحولِ إلى المجتمعاتِ المركبة وكيفية الاستدلال على ذلك من الناحيةِ الماديةِ وتطوير نماذجٍ وفرضياتٍ تبين طبيعةَ هذه النظمِ وأنواعها والعوامل التي أدتْ إليها. فالجانب الاجتماعي-السياسي وتطوره في الشرق يمكن أن يرفد التفسيرات التي أدتْ إلى التغيرِ من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ سياسيةٍ أخرى.

النتيجة

حاول الباحث تبيانَ جانبٍ من التخصصاتِ المعرفيةِ المساندةِ لعلمِ الآثار وتوضيحه وهي الدراساتُ الأثنواركيولوجية. تنبعُ أهمية هذا النوعِ من الدراساتِ في توضيحِ طبيعةِ العلاقةِ بين السلوكِ الإنساني والمادةِ الثقافيةِ وإبرازٌ طبيعةِ الصعوباتِ المرتبطةِ بتفسير المادة الأثرية التي يسعى علمُ الآثار لتحقيقها. هذه الدراسةُ تكمنُ أهميتها في رفد التنوعِ التفسيري الذي يمكنُ أن توفره هذه الدراساتُ لعالمِ الآثار في محاولتهِ إعادةُ توضيح الماضي وتفسيرهِ بكل محتوياتهِ من نشاطاتٍ اقتصاديةٍ

واجتماعيةٍ وحتى المتعلقةِ بالجانب الرمزي الذي يحكم أحياناً طبيعة علاقات الناس مع بعضها بعضاً. إذْ إنَّ التنوعَ الموجودُ في المادةِ الأثرية يمكنُ توضيحه من خلالِ دراسةِ التنوعِ وتحليلهِ في سلوكيات الناس في الوقت الحاضر.

حاول الباحثُ وضع حجرِ الأساس في بلورةِ منهاجٍ يجمعُ بين الدراسات الأثرية والأثنوارکیولوجية والتاريخية لمحاولة بناء نموذجٍ تفسيريٍ لفهم الماضي في الشرق من خلالِ الشرقِ نفسه إذا أمكن (Said 1978). لكون معظمُ الجوانبِ التفسيريةِ تملى على الماضي في الشرق وغير نابعةٍ من المحتوى التاريخي الثقافي-الاجتماعي له. لذا، فإنَّ المزيد من الدراسات الأثنوارکیولوجية وتوظيفها لتفسير الماضي أو الإجابة عن الأسئلة التي تُطرحُ من قبل الآثاريين العاملين في الشرق سوف تساعدُ على إعادة بناءِ التاريخِ الثقافي للشرق بمجملِ جوانبهِ الاجتماعيةِ-الثقافية. لذا، فالحاجةُ ماسةٌ إلى تزامنِ العمل الآثاري والأثنوارکیولوجي للتوصلِ إلى مفهومٍ شاملٍ عن الماضي بجوانبهِ المتعددة.

المراجع

Ali, N.
1996 Spinning and Weaving Activities at Abu Hamid as Inferred from the Study of Perforated Objects. Unpublished M.A. thesis. Irbid: Yarmouk University.
2005a The Development of Pottery Technology from the Late Sixth to the Fifth Millennium: Ethno-and Archaeological Studies (Abu Hamid as a Key Site). Oxford: BAR International Series 1422.
2005b The Relationship Between Subsistence Strategies and Pottery Production Areas: An Ethnoarchaeological Study in Jordan". Leiden Journal of Pottery Technology, Vol. 21: 119-128.
2009a Ethno-Archaeological Evidence of Stylistic Variation of Small-Scale Pottery Production Societies in Northern Jordan" Jordan Journal for History and Archaeology3 (1): 101-122.
2009b Ethnographic Study of Clay Ovens in Northern Jordan" In Modesty and Patience, Studies and Memories in Honour of Nabil Qadi, Monographs of the Faculty of Archaeology and Anthropology, Vol. 6, pp. 9-18. Irbid: Yarmouk University.
Ascher, R.
1961 Analogy in Archaeological Interpretation. Southwest Journal of Anthropology 17: 317-25.
Aurenche, O., Bazin, m., and Sadler, S.
1997 Villages engloutis: enquête ethnoarchéologique à Cafer Höyük (vallée de l'Euphrate). Paris : Travaux de la Maison de L'Orient Méditerranéen.
Banning, E., and Köhler-Rollefson, I.
1986 Ethnoarchaeological Survey in the Beida Area, Southern Jordan. Zeitschrift des Deutschen Palästina Vereins 102: 152-170.
Barth, F.
1961 Nomads of South Persia: The Basseri Tribe of the Khamseh Confederacy. Boston: Little, Brown and Co.
Bauxar, J.
1957 Yuchi Ethnoarchaeology, Part I: some Yuchi identification reconsidered. Ethnohistory 4: 279-301.
Biewers, M
1997 L'habitat traditionnel à 'Aima: enquête ethnoarchéologique dans un village jordanien. Oxford: BAR International Series 662.
Binford, L.

1962 Archaeology as Anthropology. American Antiquity 28: 217-225.
1967 Comments on Major Aspects of the Interrelationship of Archaeology and Ethnography, by Chang, K. Current Anthropology 8 (3): 234-235.
1968 Methodological Considerations of the Archaeological use of Ethnographic Data. In Man the Hunter, Lee, R. and DeVore, I. (eds.), pp. 268-273. Chicago: Aldine.
1983 In Pursuit of the Past: Decoding the Archaeological Record. New York: Academic Press.

Chang, K.
1967 Major Aspects of the Interrelationship of Archaeology and Ethnology. Current Anthropology 8 (3): 227-243.

Childe, G.
1956 Piecing together the Past. London: Routledge and Kegan Paul.

Clark, J.
1954 Prehistoric Europe: The Economic Basis. London: Methuen.

Conder, C.R.
1887 Tent Work in Palestine. A Record of Discovery and Adventure. London: Richard Bentley and Son, New Burlington Street.

Cushing
1886 A Study of Pueblo Pottery as Illustrative of Zuni Culture Growth. Annual report. Washington, D.C: Smithsonian Institute.

David, N. and Kramer, C.
2001 Ethnoarchaeology in Action. Cambridge: Cambridge University Press.

Fewkes,
1900 Tuseyan Migration Traditions. Bureau of American Ethnology, Annual Report 19: 577-633.

Gatt, G.
1885 Industrielles aus Gaza. Zeitschrift des Deutschen Palästinavereins 8: 69-79.

Goodrich-Freer, A.
1913 Things seen in Palestine. London: Seeley, Service and Co. LTD.

Gould, R.
1974 Some Current Problems in Ethnoarchaeology. In Ethnoarchaeology, Donnan, Ch., and Clewlow,C. (eds.), pp. 29-48. Los Angeles: University of California.
1980 Living Archaeology. Cambridge: Cambridge University Press.

Grant, E.

1921 The People of Palestine: An Enlarged Edition of "The Peasantry of Palestine Life, Manner and Customs of the Village". Philadelphia and London: J.B. Lippingott Company.

Graves, M.

1991 Pottery Production and Distribution among the Kalinga: A Study of Household and Regional Organization and Differentiation. In Ceramic Ethnoarchaeology, Longacre, W. (ed.), pp. 112-43. Tucson: University of Arizona Press.

Heider, K.

1967 Archaeological Assumptions and Ethnographical Facts: A Cautionary Tale from New Guinea. Southwestern Journal of Anthropology 23 (1): 52-64.

Hill. J.

1968 Broken K Pueblo: Prehistoric Social Organization in the American Southwest. In New Perspectives in Archaeology, S. and L. Binfrod (eds.), pp. 103-42. Chicago: Aldine.

Hodder, I.

1982 Symbols in Action: Ethnoarchaeological Studies of Material Culture. New York: Cambridge University Press.

1983 The Present Past: An Introduction to Enthropology for Archaeologists. London: B.T. Batsford.

1986 Reading the past. Cambridge: Cambridge University Press.

Hodge, F.

1897 The Verification of a Tradition. American Anthropologist 10:299-302.

Khammash, A.

1986 Notes on Village Architecture in Jordan. Lafayette, LA: University Art Museum, University of Southern Louisiana.

Jaussen, P.A.

1908 Des Arabes au pays de Moab. Paris: Librairie Victor Lecoffre.

Kamp, K.

1987 Affluence and Image: Ethnoarchaeology in a Syrian Village. Journal of Field Archaeology 14:283-96.

1993 Towards an Archaeology of Architecture: Clues from a Modern Syrian village. Journal of Anthropological Research 49 (4): 293-317.

Kleindiesnt, M., and Watson, P.

1956 'Action Archaeology': The Archaeological Inventory of a Living community. Anthropology Tomorrow 5:75-78.

Kooij, G. van der,

2002 Ethnoarchaeology in the Near East: Practice and Theory. In Moving Matters: Ethnoarchaeology in the Near East, Wendrich, W., and van der Kooij, G. (eds.). pp. 13-26. Netherlands: University of Leiden.

Kramer, C.

1979 Introduction. In Ethnoarchaeology: Implications of Ethnography for Archaeology, Kramer, C. (ed.), pp. 1-20. New York: Columbia University Press.

1982 Village Ethnoarchaeology: Rural Iran in Archaeological Perspective. New York: Academic Press.

LaBianca, O.S

1984 Objectives, Procedures and Findings of the Ethnoarchaeological Research in the Vicinity of Heshban in Jordan. Annual of the Department of Antiquities of Jordan 28:269-82.

Layne, L.

1986 Village-Bedouin: Patterns of Change from Mobility to Sedentism in Jordan. In Method and Theory for Activity Area Research, Kent, S. (ed.), pp. 345-73. New York: Columbia University.

London, G.

1989 Past Present: The Village Potters of Cyprus. Biblical Archaeologist 52: 219-229.

2000 Ethnoarchaeology and Interpretations of the Past. Near Eastern Archaeology 63 (4): 2-8

Longacre, W.

1968 Some Aspects of Prehistoric Society in East- Central Arizona. In New Perspectives in Archaeology, S.R. and L. R. Binfrod, (eds.), pp. 89-102. Chicago: Aldine.

1970 Archaeology as Anthropology: A Case Study. Anthropological papers of the University of Arizona 17. Tucson: University of Arizona Press.

Lubbock, J.

1882 The Origin of Civilization and the Primitive Condition of Man. London: Longmans, Green and Co.

1865 Pre-Historic Times: As Illustrated by Ancient Remains, and the Manners and Customs of Modern Savages. London: Williams and Norgate

Matson, F.

1974 The Archaeological Present: Near Eastern Village Potters at Work. American Journal of Archaeology 78: 345-47.

Marx, E.

1967 Bedouin of the Negev. Manchester: University Press.

McQuitty, A.
1984 An Ethnographic and Archaeological Study of Clay Ovens in Jordan. Annual of the Departmnet of Antiquities of Jordan 28: 259-67.
Mershen, B.
1985 Recent Hand-made Pottery from Northern Jordan. Berytus 33:75-87.
Morgen, L.
1877 Ancient Society. Researches in the Lines of Human Progress from Savagery through Barbarism to Civilization. Chicago: Sharles H. Kerr and Company
Nissen, H.
1968 Survey of an Abandoned Modern Village in Southern Iraq. Summer 24: 107-114.
Ochsenschlager, E.
1974 Modern Potters at Al-Hiba, With Some Reflections on the Excavated Early Dynastic Pottery. In Ethnoarchaeology, Donnan, Ch., and Clewlow,C. (eds.), pp. 149-160. Los Angeles: University of California.
1993 Village Weavers: Ethnoarchaeology at Al-Hiba. Bulletin on Sumerian Agriculture 7: 43-62.
Palmer, C.
1998 "Following the Plough": the Agricultural Environment of Northern Jordan. Levant XXX: 129-65.
Rice, E.
1910 Orientalisms in Bible Land: giving light from customs, habits, manners, imagery, thought and life in the east for Bible students. Philadelphia: The American Sunday School Union.
Said, E.
1978 Orientalism: Western Conceptions of the Orient. London: Routledge & Kegan Paul Ltd.
Schiffer, M.
1987 Formation processes of the Archaeological Record. Albuquerque: University of New Mexico Press.
Schumacher, G.
1888 The Jaulan. London: Richard Bentley and Son
Seeden, H.
1987 Aspects of Prehistory n the Present World: Observations Gathered in Syrian Villages from 1980 to 1985. World Archaeology 17: 289-303.
Shelley, C.
1999 Multiple Analogies in Archaeology. Philosophy of Science 66 (4): 579-605

2003 Multiple Analogies in Science and Philosophy. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

Simms, S. R.

1988 The Archaeological Structure of a Bedouin Camp. Journal of Archaeological Science 15: 197-211.

Sollas, W.

1911 Ancient Hunters and their Modern Representatives. London: MacMillan.

Steuernagel, C

1926 Der 'Adschlun, Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins 49.

Steward, J.

1942 The Direct-Historical Approach to Archaeology. American Antiquity 7: 337-343.

Stiles, D.

1977 Ethnoarchaeology: A Discussion of Methods and Applications. Man. New Series 12 (1): 87-103

Suleiman, E.

1988 Habitations of the Bdul Bedouins in the Petra Area. Annual of the Departmnet of Antiquities of Jordan 30:29-33 (Arabic).

Tarawneh, M.

2002 Social Patterning in Pairs: Life and Death, Present and Past. In Moving Matters: Ethnoarchaeology in the Near East (Proceedings of the International Seminar held at Cairo 7-10 December 1998), W. Wendrich and G. van der Kooij (eds.), pp. 237-50. Leiden/Cairo: Research School of Asian, African, and Amerindian Studies, Universiteit Leiden/Nederlands-Vlaams Instituut.

Thompson, R.

1991 The Archaeological Purpose of Ethnoarchaeology. In Ceramic Ethnoarchaeology, Longacre, W. (ed.), pp. 231-45. Tucson: Arizona University Press.

Tylor, E.

1870 Researches in the Early History of Mankind and the Development of Civilization. 2ed. London: John Murray, Albemarle Street.

Verhoeven, M.

2005 Ethnoarchaeology, Analogy, and Ancient Society. In Archaeologies of the Middle East: Critical Perspectives, Pollock, S. and Bernbeck, R. (eds.), pp. 251-270. Malden and Oxford: Blackwell Publishing Ltd.

Watson, P.

1966 Clues to Iranian Prehistory in Modern Village Life. Expedition 8: 9-19.

1978 Architectural Differentiation in Some Near Eastern Communities, Prehistory and Contemporary. In Social Archaeology: Beyond Subsistence and Dating, Redman, C., Langhorne, W., Berman, Jr., M., Versaggi, N., Curtin, E., and Wanswer, J. (eds.). pp. 131-158. New York: Academic Press.

1979 Archaeological Ethnography in Western Iran. Viking Fund Publications in Anthropology no. 57. Tucson: University of Arizona Press. .

1980 The Theory and Practice of Ethnoarchaeology with Special Reference to the Near East. Paleorient 6: 55-64.

1999 Ethnographic Analogy and Ethnoarchaeology. In Archaeology, History and Culture in Palestine and the Near East: Essays in Memory of Albert E. Glock, edited by T. Kapitan. American Schools of Oriental Research, ASOR Books, Volume 3. Atlanta, GA: Scholar's Press, pp. 47-65.

White, L.

1959 The Evolution of Culture: The Development of Civilization to the Fall of Rome. New York: McGraw-Hill Book Company, Inc.

Willey, G.

1953 Prehistoric Settlement Patterns in the Viru Valley, Peru. Washington, DC: Bureau of American Ethnology Bulletin 155, Smithsonian Institute.

Wulff, H. E.

1966 The Traditional Crafts of Persia: Their Development, Technology, and Influence on Eastern and Western Civilizations. London and Cambridge, MA: MIT Press.

Wylie, A.

1985 The Reaction against Analogy. Advances in Archaeological Method and Theory 8: 63-111.

Yellen, J.

1977 Archaeological Approaches to the Present. New York: Academic Press.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2011/1/12